

الحلقة السادسة والسبعون

أقوال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي تحت عنوان: «أقوال المسيح». لقد تكلم المخلص يسوع المسيح بأقوال عديدة مليئة بالحكمة، مما أثار إعجاب الناس من حوله، كما أكدت أيضاً على سلطانه الإلهي.

كيف تتخذ نفسك مستمعي من مأزق حرج تقع فيه؟ هل تتجنب قول الحقيقة؟ وهل تحاول أن تلف وتدور في كلامك لا بل أن تكذب لكي تبرر نفسك؟ أو ليس هذا ما يفعله الكثيرون؟ وهل تظن أنك بهذه الطريقة تتجني نفسك حقاً؟ أولاً تخاف أن تتكشف الحقيقة يوماً ما؟

هناك حادثة واقعية حصلت في أيام المخلص المسيح، حاول فيها أحد تلاميذ المسيح أن ينفذ نفسه أمام الآخرين، بعدم قول الحقيقة والكذب. فكانت النتيجة أن ندم ندماً شديداً على فعله هذا. فبعد أن تناول المسيح مع تلاميذه عشاء الفصح، ذهبوا جميعاً إلى جبل الزيتون في أورشليم. كتب البشير متى عن هذه الحادثة قائلاً:

حِينَئِذٍ قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «كُلُّكُمْ تَشْكُونَ فِيَّ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ، لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: أَنِّي أَضْرِبُ الرَّاعِيَّ فَتَتَبَدَّدُ خِرَافُ الرَّعِيَّةِ. وَلَكِنْ بَعْدَ قِيَامِي أَسْبِقُكُمْ إِلَى الْجَلِيلِ». فَأَجَابَ بَطْرُسُ وَقَالَ لَهُ: «وَأَنْ شَكَ فَيْكَ الْجَمِيعُ فَأَنَا لَا أَشُكُّ أَبَدًا». قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «الْحَقُّ أَقُولُ لَكَ: إِنَّكَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ قَبْلَ أَنْ يَصِيحَ دَيْكَ تُنْكِرُنِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ». قَالَ لَهُ بَطْرُسُ: «وَلَوْ اضْطَرَرْتُ أَنْ أَمُوتَ مَعَكَ لَا أُنْكِرُكَ!» هَكَذَا قَالَ أَيْضًا جَمِيعُ التَّلَامِيذِ (بشارة متى ٢٦: ٣١-٣٥). هنا نجد نبوءة هامة قالها المسيح عن تلاميذه أنهم جميعاً سيشكون به في ليلة القبض عليه. لكن التلميذ بطرس أسرع كعادته وقال للمسيح: «وَأَنْ شَكَ فَيْكَ الْجَمِيعُ فَأَنَا لَا أَشُكُّ أَبَدًا». فعاد المسيح وأكد له: «إِنَّكَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ قَبْلَ أَنْ يَصِيحَ دَيْكَ تُنْكِرُنِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ». فأجابه بطرس بحماس مرة أخرى أنه لو اضطر أن يموت معه فهو لن ينكره. فهل أنكر بطرس حقاً المسيح؟ هذا ما سنجيب عنه خلال لحظات فابقوا معنا.

مستمعي الكريم، بعد القبض على الرب يسوع المسيح في بستان جثسيماني تلك الليلة، أخذ خدام رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب المسيح إلى دار قيافا رئيس الكهنة لمحاكمته أمامهم. ويخبرنا البشير متى ما حصل بعدئذ، إذ كتب قائلاً:

«أَمَّا بُطْرُسُ فَكَانَ جَالِسًا خَارِجًا فِي الدَّارِ، فَجَاءَتْ إِلَيْهِ جَارِيَةٌ قَائِلَةً: «وَأَنْتَ كُنْتَ مَعَ يَسُوعَ الْجَلِيلِيِّ!». فَأَنْكَرَ قُدَّامَ الْجَمِيعِ قَائِلًا: «لَسْتُ أَدْرِي مَا تَقُولِينَ!» ثُمَّ إِذْ خَرَجَ إِلَى الدَّهْلِيزِ رَأَتْهُ أُخْرَى، فَقَالَتْ لِلَّذِينَ هُنَاكَ: «وَهَذَا كَانَ مَعَ يَسُوعَ النَّاصِرِيِّ!» فَأَنْكَرَ أَيْضًا بِقَسَمٍ: «إِنِّي لَسْتُ أَعْرِفُ الرَّجُلَ!» وَبَعْدَ قَلِيلٍ جَاءَ الْقِيَامُ وَقَالُوا لِبُطْرُسَ: «حَقًّا أَنْتَ أَيْضًا مِنْهُمْ، فَإِنَّ لُغَتَكَ تُظْهِرُكَ!» فَأَبْتَدَأَ حِينئِذٍ يَلْعَنُ وَيَحْلِفُ: «إِنِّي لَا أَعْرِفُ الرَّجُلَ!» وَلِلْوَقْتِ صَاحَ الدَّيْكَ. فَتَذَكَّرَ بُطْرُسُ كَلَامَ يَسُوعَ الَّذِي قَالَ لَهُ: «إِنَّكَ قَبْلَ أَنْ يَصِيحَ الدَّيْكَ تُتَكْرَمُنِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ». فَخَرَجَ إِلَى خَارِجٍ وَبَكَى بُكَاءً مُرًّا» (بشارة متى ٢٦: ٦٩-٧٥).

ويخبرنا البشير لوقا أيضاً: أنه عند صياح الديك، التفت المسيح وهو يُحاكم أمام قيافا ونظر إلى بطرس. إنها بالفعل حادثة غريبة من نوعها، فبطرس تلميذ المسيح الذي كان يجاهر دائماً بحبه له، وبال دفاع عنه، نراه يسقط أمام أول امتحان وينكر سيده. وبدا واضحاً أن الخوف قد استبد به بالكلية. فقد ألقى القبض على سيده المسيح، وهو يتعرض لخطر الحكم عليه بالموت، فخاف أن يكون مصيره كمصيره. مع أنه قبل ساعات قليلة أعلن أنه لو شكك بالمسيح الجميع فهو لن يشكك به أبداً. لا بل ذهب إلى القول أنه مستعد أن يموت مع المسيح ولن ينكره. لكننا نراه ينكر المسيح أولاً أمام جارية خادمة، فادّعى أنه لا يدري ماذا تقول. ثم أنكره ثانية أمام جارية أخرى عرفته فقال أنه لا يعرف الرجل أي المسيح. وأنكره ثالثة أمام الحاضرين عندما قالوا له: «حَقًّا أَنْتَ أَيْضًا مِنْهُمْ، فَإِنَّ لُغَتَكَ تُظْهِرُكَ!» فَأَبْتَدَأَ حِينئِذٍ يَلْعَنُ وَيَحْلِفُ: «إِنِّي لَا أَعْرِفُ الرَّجُلَ!».

ألى هذه الدرجة وصل الأمر بالتلميذ بطرس، إلى حد أنه أخذ يلعن ويحلف أنه لا يعرف الرجل أي المسيح؟ وعندها صاح الديك، فتذكّر بطرس كلام المسيح أنه قبل أن يصيح الديك ينكره ثلاث مرات. فما كان منه إلا أن ندم ندماً شديداً وخرج من الدار وبكى بكاءً مرّاً.

ما هو الدرس الذي نتعلمه من هذه الحادثة مستمعي؟ لعلّ أهم درس لنا كمؤمنين بالمسيح، هو أن لا ننكر المسيح مخلصنا وملئنا عندما نكون عرضة لخطر الاضطهاد لا بل لخطر الموت من قبل الآخرين حتى وإن كانوا من أقرب الناس إلينا. مع العلم أن الله سيسرع لنجدتنا وينقذنا، وإن سمح بموتنا فهذا سيؤول لمجده.

والدرس الثاني المهم أنه حتى لو أنكرنا المسيح كمؤمنين في لحظة ما، ثم ندمنا حقاً على فعلتنا هذه، فإن الله سيسامحنا ويعيدنا إلى الشركة معه. وهو ما اختبره بطرس إذ بعد توبته الحقيقية وندمه الأكيد، سامحه المسيح وباركه، لا بل جعله من أعظم التلاميذ

والرسل. وهذا ما رأيناه في يوم الخميس عندما حلّ الروح القدس على التلاميذ، فوقف الرسول بطرس وألقى عظة جريئة إذ قال لليهود عن المسيح: «هَذَا أَخَذْتُمُوهُ مُسَلِّمًا بِمَشُورَةِ اللَّهِ الْمَحْتَوَمَةِ وَعِلْمِهِ السَّابِقِ، وَبِأَيْدِي أَنْثَمَةٍ صَلَبْتُمُوهُ وَقَتَلْتُمُوهُ. الَّذِي أَقَامَهُ اللَّهُ نَاقِضًا أُوجَاعَ الْمَوْتِ، إِذْ لَمْ يَكُنْ مُمَكِّنًا أَنْ يُمَسَّكَ مِنْهُ» (أعمال الرسل ٢: ٢٣-٢٤).

أما بالنسبة لغير مؤمنين بالمسيح فإن هذه الحادثة عليها أن تؤكد لهم أن المسيح هو حقاً المسيح المخلص الذي هم بحاجة إليه. فهو تنبأ للتلميذ بطرس عما سيحصل معه بعد ساعات قليلة. وهو ذهب للموت كما أخبر تلاميذه أيضاً. وقد فعل هذا لكي يكفر عن ذنوبنا نحن البشر الخاطئة.

ألا تؤمن مستمعي بهذا المخلص الفريد؟ هذا المخلص الذي تنازل خصيصاً من السماء لكي يدفع ثمن خطاياك على الصليب؟ وهو الذي أقامه الله حياً في فجر اليوم الثالث، مؤكداً أنه قد أكمل عمل الفداء. وهكذا يحصل كل من يؤمن به ويعمله الكفاري على الغفران الكامل ويصبح من أولاد الله وينال الحياة الأبدية. فهل تراك تتوب وتؤمن؟